ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

شخصية سيدي محمد الهوراي في الكتابات الإستشراقية الفرنسية خلال الفترة الاستعمارية :رصد بيبليوغرافي *

أ.د. هلايلي حنيفي
جامعة سيدي بلعباس
البريد الإلكتروني:hanifi_andalous@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2017/02/15 تاريخ القبول:2017/03/10

الملخص:

اهتمت المدونات الفرنسية منذ احتلال الجزائر سنة 1830 بالتراث العربي الإسلامي، فظهرت كتابات مبكرة في حقل التحقيق و التحقيب و الترجمة، أطرها مستعربون ومترجمون و خريجي مدرسة الآداب بالجزائر. من بين هذه الاهتمامات التأريخ للفكر الديني الصوفي الجزائري الذي ظهر على شكل أبحاث ميدانية و كتابات مونوغرافية .ترتكز هذه المداخلة على شخصية الصوفي العالم محمد الهواري الذي خصصت له الكتابات الفرنسية حيزا كبيرا من الاهتمام كرجل صوفي لعب أدوار بارزة في حاضرة المغرب الأوسط و هذا من خلال التعريف بشخصيته العرفانية الربانية و مناقبه و تآليفه الصوفية . نشرت معظم أعمال المستعربين حول سيدي محمد الهواري في المدونات الفرنسية كالمجلة الإفريقية و المجلة الأسيوية أو كتابات مستقلة .

تعتمد هذه الدراسة على المنهج البيبليوغرافي المونوغرافي لأهم الدراسات الفرنسية المنجزة حول شخصية سيدي محمد الهواري.

الكلمات الدالة:

المدونات الفرنسية – الجزائر– سيدي محمد الهواري– المستشرقون – الفرمانات العثمانية.

العنوان بالإنجليزية:

The character of the mystic Sidi Muhammad al - Houari in the French Orientalist writings During the colonial period bibliographic monitoring

Abstract:

Since the occupation of Algeria in 1830, the French blogosphere has been interested in the Arab-Islamic heritage. Early writings in the field of investigation,

المنارة للاستشارات

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

investigation and translation have appeared in the framework of interrogators, translators and graduates of the School of Arts in Algeria. Among these concerns is the history of Algerian mystical religious thought, which appeared in the form of field research and monographic writings.

This intervention is based on the character of the mystic world Mohammed Al-Houari, to whom the French literature devoted a great deal of attention as a mystic man who played prominent roles in the central city of Morocco by introducing him to his character, mysticism, and Sufism. Most of the abusers' work has been published around Sidi Mohamed al-Hawari in French blogs such as the African and Asian magazines or independent writings. This study is based on the bibliographical bibliography of the most important French studies on the personality of Sidi Mohamed El Houari.

Key words:

French Blogs - Algeria - Sidi Mohamed El Houari – Orientalists.

اهتمت المدونات الفرنسية منذ احتلال الجزائر سنة 1830 بالتراث العربي الإسلامي، فظهرت كتابات مبكرة في حقل التحقيق و التحقيب و الترجمة، أطرها مستعربون ومترجمون و خريجي مدرسة الآداب بالجزائر. ومن بين هذه الاهتمامات التأريخ للفكر الديني الصوفي الجزائري الذي ظهر على شكل أبحاث ميدانية و كتابات مونوغرافية. (1)

لذلك تطمح هذه الدراسة إلى إثارة الموضوع من جديد و بمنهجية تتوخى فهم ظاهرة الأدعية الساخطة ، و تحاول تلمس مرجعيتها الفكرية و التاريخية بالعلاقة مع السياق التاريخي الذي أنتجها و هي فترة العصر الوسيط بالجزائر ثم تتبع صداها في المدونات الفرنسية مقارنة بالمصادر المحلية. و تجدر الإشارة هنا أن غياب نصوص و مصادر داعمة لمثل هذه القضايا الشائكة تجعلنا نبحث عن نواة بيبليوغرافية حول شخصية الصوفي العالم محمد الهواري الذي خصصت له الكتابات الإستشراقية الفرنسية حيزا كبيرا من الاهتمام كرجل صوفي لعب أدوار بارزة في حاضرة المغرب الأوسط و هذا من خلال التعريف بشخصيته العرفانية الربانية و مناقبه و تآليفه الصوفية . لقد نشرت معظم أعمال المستعربين حول سيدي محمد الهواري في المدونات الفرنسية كالمجلة الإفريقية و المجلة الأسيوية أو كتابات مستقلة. وعليه فإن

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

الدراسة تعتمد على المنهج البيبليوغرافي المونوغرافي لأهم الدراسات الفرنسية المنجزة حول شخصية الفقيه محمد الهواري.

أولا: ارتباط حادثة مقولة السخط و الوعد و الوعيد على حاضرة وهران بالشيخ محمد الهواري.

تنطلق هذه الدراسة أساسا على حادثة دعوة الهواري الساخطة على وهران، مما أدى حسب الاعتقاد السائد وقتذاك، إلى استيلاء النصارى الإسبان على المرسى الكبير(1505) ، و وهران(1509)[2]. فمن خلال ما ورد في الأدبيات التاريخية الجزائرية خلال الفترة العثمانية ظاهرة الدعاء على وهران و تسلط الاحتلال الإسباني عليها زهاء ثلاثة قرون. وبينت بعض المصادر هذه الحادثة كالرحلة القمرية لابن زرفة[3] و طلوع سعد السعود للمازاري بن عودة [4]و الثغر الجماني لابن سحنون الراشدي[5]، و دليل الحيران لمحمد بن يوسف الزياني[6].

لقد ذكر الزياني في دليل الحيران حول هذه الحادثة ما نصه: "و اعلم أن سبب تملك النصارى لوهران هو دعاء الشيخ الهواري عليها، و ذلك أن أهل وهران بغوا على ولده سيدي أحمد الهائج و قتلوه ظلما و عدوانا بالمحل المسمى به الآن، و هو الهائج، ووادية يقال له وادي الهائج، و ادعوا عليه أنه هائج عليهم بغير حق... فعند ذلك قال لهم الشيخ... لأي شيء قتلتم ولدي يا أهل وهران، لأنه ثمرة فؤادي و قرة عيني و بضعة مني، فقالوا له: لأنه ارتكب ذنبا و ثبت عليه و قتلته الشريعة. فقال لهم: من حكم بقتله من ساداتنا العلماء؟ فقالوا له : لا نحتاج في ذلك إلى حكم حاكم، و إنما رأينا الشريعة قتلته فقتلناه. فقال لهم : أنتم قتلتم بزعمكم أن الشريعة قتلت ولد الهواري، و أن الهواري لا يجوز ولده لعدم تحقيق دعواكم، و أن قولكم في الظاهر مقبول، ففي الباطن ولدي ناج و كلامكم محلول، فسلمها رضي الله عنه للنصارى، لأنه سلطان مصرها و متولي أمرها، و كان ممن الذين لو أقسموا على الله لبر الله قسمهم و نص دعائه:

روحي يا وهران الفاسقة.

يا كثرة الجور و البغي و الطارقة.

ياذات الأهل الباغية السارقة.

إني بعتك بيعة موافقة

DM,LREOCMI

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

لنصارى مالقة و جالقة

إلى يوم البعث و التالقة

مهما ترجعي فأنت طالقة.

فلما قال الشيخ ذلك، قال له بعض تلاميذته الحاضرين لدعوته: يا سيدي ، و الفرج لاحقه، فقال الشيخ: و الفرج لاحقه... ثم اعلم أن النصارى (الإسبان) لم يدخلوها بفور دعائه، و أنما دخلوها بعد وفاته باثنين و سبعين عاما لأنه توفي صبيحة السبت ثاني عشر ربيع الثاني سنة ثلاث و أربعين من القرن التاسع، في وقت الملك أحمد ابن أبي حمو موسى بن يوسف الزياني ووقت أخيه القائم عليه أبي يحيى بن أبي حمو موسى بن يوسف الزياني الذي اتخذ(وهران) دار ملكه و سكناه. [7]".

و الظاهر أن مثل هذه الأخبار ، التي يصعب تصديقها لما يرتب عنها من البدع الضالة و إلصاقها بالعلماء الصالحين، انتشرت بشكل رهيب في المجتمع المغاربي خلال الفترة العثمانية. و إذا تصفحنا كتاب المحن لوجدنا صور كثيرة عن امتحان العلماء في دينهم و أنفسهم و أهلهم و مالهم[8]. وقد جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم: " أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا الفتن و البلايا فإذا صاروا إلى قبورهم تمحيصا لذنوبهم".[9]

لعل تعلق الناس بالشيخ الهواري و غيره من الأولياء الصالحين ، حيث أصبح التصوف ظاهرة وجدت طريقها نحو بلاد المغارب عن المثقفين في بداية الأمر، ثم انتقلت مع مطلع القرن 7هـ/13م إلى مختلف شرائح المجتمع ،فظهرت الجماعات الصوفية، و انتشرت عديد الزوايا ، فأصبح لكل زاوية شيخها و طريقتها و مريديها. ومن خلال العودة إلى كتاب " البستان" نجده يترجم لـ 7متصوفة خلال القرن 7هـ/12م، ثم لـ 18 متصوف إبان القرن 8هـ/14م، ليصل إلى عدد 44 متصوف مع مطلع القرن 9هـ/15م.[10]. أولى الإشارات التي تحيلنا إلى الانتشار الواسع لظاهرة التصوف هي كثرة الاعتقادات و الكرامات عند الأولياء حيث جعلت الناس يبالغون في ظاهرة تقديس دور الأولياء فيما يقع في البلاد من الأحداث و إلصاق أدعيتهم بما جرى من العواقب و الزواجر.

ما يسترعي اهتمام الدارس لظاهرة الزوايا هو ارتباط ظهورها و ازدياد نشاطها بواقع حالة التوتر

المنارة للاستشارات

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

و الحروب التي سادت علاقات الإسلام بالمسيحية سواء في المشرق أو المغرب. فالصلاح و الولاية سلوك إنساني لا يختص به مجتمع دون غيره أو ثقافة دون أخرى، و لكنه تصرف إنساني وجد في كل الديانات و الثقافات. شكلت الولاية و الصلاح للإنسان الشعبي الدرع الواقي و الحصانة السيكولوجية التي كان يستعين بها في مجابهته لقساوة الحياة اليومية. فالقصص و الخرافات و الحكايات الشعبية العجيبة التي كانت ترافق كرامات الأولياء و معجزاتهم اعتقاد سائد في عالم الرجل العامي.(11)

رفعت البابوية شعار" حاربوا الإسلام أينما كان" . و كان طرد المسلمين من الأندلس(1492)

و ملاحقة المسيحيين لهم في المغرب من الأسباب المباشرة التي ساهمت في ظهور الزوايا بصفتها قوى سياسية و اجتماعية خلال القرن الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر. و أطرت هذه المؤسسات المغاربة، ودافعت عن البلاد و أنقذت الجزائر من فقدان هويته. و على هذا أساس هذه الأدوار التي أدتها هذه المؤسسات قد نتساءل: ما الخصائص التي ميزت هذه الزوايا؟ و كيف تم لها ذلك، و في أية ظروف؟ لاشك أن هذا موضوع آخر، لكن ما يمكن أن نلاحظه على امتداد المرحلة الاستعمارية الفرنسية ، أن المستشرقين أحسنوا توظيف مثل هذه الشائعات و البرهنة عليها و إلصاقها بعلماء و فقهاء الجزائر في الفترة التي سبقت الاحتلال الأوروبي للثغور الجزائرية.

يستدعي الكلام عن الزوايا الوقوف عند المصطلحات المرتبطة بها: الرباط و الولاية و الكرامة.(12)

و نلاحظ أن هذه المصطلحات تندرج ضمن حقلين في دلالة المقدس: فبعضها يحيل على المجال كالزاوية و الرباط، و المصطلحات الأخرى تحيل على التعبد و العبادة و تشترك المصطلحات كلها في كونها ترتبط بالإنسان. و الملاحظ أن الأزمات التي عرفتها الجزائر خلال القرن الخامس عشر و مطلع القرن السادس عشر كانت من العوامل الأساسية التي أدت إلى ارتباط الجزائريين و تشبتهم بمؤسسات المقدس: الزاوية و الرباط و الولاية.

و الغالب على الظن أن الأمية كانت متفشية و الثقافة محصورة في قلة قليلة في المغرب الأوسط. و كان الناس على اتصال مباشر بالطبيعة، مع العلم بأن أسرار كثيرة تغيب عنهم. و كانت الظروف التي يعيشها الجزائريون صعبة من جراء الأوبئة و الجفاف و المجاعات و الهجمات الأجنبية. ورأى الناس في هذه المحن عقابا من الله و تشبثوا بالزوايا و آمنوا بكرامات الأولياء ورأوا فيها بصيص الأمل.

الإنارة للاستشارات

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

و جاءت كرامات الأولياء معبرة عن مشاغل العصر: فهذا الشيخ الهواري.....ولهذه الكرامة، على ماي ظهر، ارتباط .....الذي كان يعاني منه سكان وهران .. من خلال ما سبق، نلاحظ كيف تغيرت الولاية مفهوما و ممارسةً: فمن الولي الصالح التقي النقي المتفاني في عبادة الله استعدادا ليوم الميعاد، إلى الولي الذي أنتجته الأحداث التاريخية. لقد برز هذا الأخير لا كما سعت الكتابة الفقهية إلى تقديمه نظريا، بل برز إنسانا تاريخيا.

لقد وردت حادثة استرجاع وهران الأول(1708) فيما أورده الجامعي ، في شرح الحلفاوية قائلاً: " وقد بلغنا أن الله تعالى اعتنى بتبشيرها ، و جعل بعض أوليائه يريد بشيرها، فرأى بعض الناجين فيها، ليلة الفتح المذكورة. الشيخ سيدي محمد الهواري و هو يقول له: اصنع لي تابوتا يكون على قبري بوهران، و أنا الهواري فقال له: يا سيدي ، إلى أن تفتح، فقال له: قد فتحت هذه الليلة."[13] و لعله في هذه السياق يمكن وضع هذه الكرامات في ما رواه ابن مريم حول معرفة النبأ قبل حدوثه، و حادثة المرأة التي استغاثت به في شأن ولدها،[14] كما أوردت بعض المصادر مكاشفات الهواري، و اطلاعه على الغيب، و هذا ما رواه ابن صعد في روضة النسرين.[15] لقد ساد الاعتقاد في كرامات الهواري و هي من الأباطيل التي ألصقت بالشيخ الصوفي لا علاقة له بها.

ثانيا :حياة الهواري و آثاره العلمية.

يعد الولي الصالح سيدي محمد الهواري أحد أقطاب التصوف المغاربي و أحد الأولياء البارزين في وهران، و قد نوهت المصادر بفضله و علمه و أنه مستجاب الدعاء. كما وردت أخبار عن سيرته في كتاب(الثغر الجماني) و في كتاب (روضة النسرين)، بأنه ينتسب إلى قبيلة مغراوة في منطقة الشلف وأنه انتقل في طفولته إلى هوارة حيث بلاد بني شقران، والتي تدعى بقلعة بني راشد[16]. ولد الشيخ الهواري سنة (751-843هـ/1350-1439م)، تلقى تعاليم الشريعة في الكتاتيب، ثم أخذ طريق الصوفية حسب ما ورد في المصادر[17].و الجدير بالملاحظة أن هذه الأخبار التي وردت في مؤلف الراشدي منقولة، و شاعت في معظم الكتب التي روت عنه سيرة الهواري.

ومعلوم أن الشيخ طاف بالبلاد شرقا و غربا يطلب العلم الشرعي و يلقى المشايخ و الأولياء و يأخذ عنهم المتون و الإجازات، فتوجه إلى بجاية سنة 767هـ، و تتلمذ على عبد الرحمن الوغليسي البجائي

DM,LREOCMI

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

(ت سنة 786هـ) و على أحمد بن ادريس البجائي. ثم ارتحل إلى فاس، فأخذ عن موسى بن محمد بن معطي العبدوسي(ت سنة 796هـ)، وعن أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن القباب(المتوفى سنة 778هـ)، كانت له دراية واسعة في علوم الدين و العقيدة، و برع في التفسير و الحديث و التصوف و علوم القرآن. [18] للشيخ محمد الهواري جملة من التأليف في شكل أنظام بلسان العوام، منها: التنبيه و كتاب السهو و هو منظومة في الطهارة و الصلاة. أما منظوماته في التصوف و الأخلاق فهي: التسهيل و التبيان و تذكرة السائل. [19]

ثالثا : مقولة الهواري حول السخط و الوعيد على وهران و احتلالها في ضوء الكتابات الفرنسية.

من بين أكثر القضايا إثارة و جدلاً في تاريخ وهران و المدن الجزائرية عامة مسألة الأدعية الساخطة المستعملة على ألسنة العوام التي ألصقت بها. لابأس من التذكير بأن الباحثين في تاريخ الجزائر حول هذا الموضوع لطالما اشتكوا من شح المادة المصدرية ووقوفها حائلا دون الوصول إلى نتائج مرضية ،لذلك كان علينا العودة إلى الكتابات الفرنسية الإستشراقية خلال الفترة الاستعمارية، و ترتبط أساسا بموضوع التصوف، و المظان في حقيقة الأمر لا يخرج عن الطبيعة الفقهية– الصوفية.

إذا كانت الدراسات الإستشراقية التي حملتها المجلات خلال فترة الاستعمار، قد قاربت بشكل أو بأخر موضوع الأدعية الساخطة على الساكنة و مدن الجزائر و خاصة الغربية منها ، فإن الهدف من ذلك لم يكن رصد ما تعانيه الساكنة من هواجس الانتقام من الأولياء و المرابطين الصلحاء، بل ظل الهاجس في الغالب تبرير أسطورة الاستعمار بقابلية الاحتلال و التواجد الأجنبي. هكذا و على الرغم من افتقارنا إلى إشارات صريحة حول الموضوع، فإن المعلومات التي توفرت لدينا رسمت لنا صورة عن حالات و مناسبات شبيهة بحالة وهران. تتضح إذا محاولة هؤلاء المستشرقين الفرنسيين، إثبات الحقائق مدعمين بمنهجية سوسيولوجية و أنثروبولوجية.

1- **والسين إسترهازي**.(Walsin-Estherhazy Louis Joseph Ferdinand) [20]

ضابط فرنسي(1807–1857) رافق معظم الحملات الفرنسية في الجزائر منذ دخوله إليها سنة 1832.ارتقى إلى رتبة جنرال في الجيش الفرنسي و مكث بالجزائر مدة ثمانية عشر سنة. اهتم بالتنظيمات العسكرية العثمانية بالجزائر .ترك كتابا قيما عن مخزن وهران تناول فيه المناطق الغربية

المنارة للاستشارات

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

للجزائر و علاقة جيش الاحتلال بمقاومة الأمير و قبائل الدوائر و الزمالة وتعداد القوات الفرنسية بالمنطقة.[21]

يبقى كتاب إسترهازي "**السيطرة التركية على أيالة الجزائر**" هو الإنجاز الأهم في تأريخ تطور الأدعية الساخرة و الساخطة في الجزائر خلال الفترة العثمانية من منظور ديني أنثروبولوجي استعماري، حيث يشدد الضابط الفرنسي، و عبر حشد كبير من التعابير و المقولات الساخرة ، على أن هذه الأدعية الساخطة انبنت تدريجيا على الذاكرة و الاعتقاد السائد زمنئذ في المتصوفة و الأولياء. و هذا يعني ضمن فرضية أن الأدعية الساخرة اعتمدت بدرجة كبيرة على عملية توارث الذاكرة الشعبية في مختلف المدن الجزائرية، و هنا نلاحظ أن الضابط الفرنسي خص هذه الظاهرة في مجال جغرافي يتمثل في الغرب الجزائري كخط يلامس فيه ثقافة الجزائريين و اعتقاداتهم الساذجة في المتصوفة عن طريق السخرية.

ومن الأمثلة التي ذكرت في الكتاب:

- مازونة: " يحجو بكبارهم بصغارهم و تأكلهم النار بترابهم بحجارهم".
- تنس: " تنس مبنية على دنس، ماها دم هواها سم و الله بن يوسف مايبات ثم" [22].
- مستغانم: " أهل مستغانم مطلعين البلغا على حس المضغة".
- بنو عامر: " دمر عليهم الله نبوح الوسط بنو دمار" .[23]
- شلف:" خير الأوطان تخلي بعد العمارة و تصير دكان و يعمرك الفرانصيص النصارى".
- المتيجة: " متيجة بقرة سمينة وشحمها للقسيس لولها للترك و أخر للنصارى".[24]
- البليدة: " الناس قالو لك البليدة ،أنا سميتك وريدة".[25]

كثيرة هي المدن التي ذكرها مثل تلمسان و معسكر و المدية. و السؤال الذي يظل قائماً لماذا ركز هؤلاء الضباط على المعتقدات الساخرة للجزائريين على الساكنة و المدن؟.

2- أوغست قورقوس (Auguste Gorguos).

رافق المستعرب الفرنسي قورقوس جميع حملات المارشال كلوزيل(Bertrand Clauzel)[26] على حواضر الجزائر منذ 1836. تقلد مناصب سامية في مؤسسات الدولة الفرنسية بالجزائر، انتدب لتدريس اللغة العربية بالجزائر حيث تعلم مبادئها على يد برزيني(Louis Jacques

المنارة للاستشارات
DM,LREOCMI

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

Bresnier)[27]، ثم عمق معرفته باللغة في معهد الدراسات الشرقية بباريس. اختص في تحقيق ودراسة المخطوطات العربية إلى جانب المستعرب شيربونو (Jacques – Auguste Cherbonneau) منذ 1850، كما يعد من المترجمين البارزين و أحد مؤسسي الجمعية التاريخية الجزائرية . نشر عديد المقالات في المجلة الإفريقية ما بين 1856–1861. [28] وقد انتدب قورقوس من طرف إدارة الاستعمار لتولي كرسي اللغة العربية بقسنطينة منذ تأسيسه سنة 1857.[29]

لقد خصصت دراسات قورقوس فقرات مهمة للحديث عن سيدي محمد الهواري. وقد عبر قورقوس في دراسته(**ملاحظات حول باي وهران محمد الكبير**) عن مؤثرات الهواري في ساكنة وهران من خلال الكرامة و الولاية و دعوته حول تسليط المحتل الإسباني على وهران و بقائه فيها مدة طويلة تقارب قرنين و نصف (1505–1708/1732–1792)، و أشار إلى كتاب حزب العارفين ، الذي استند حسب قورقوس على روايات معاصرة تشير بأن الهواري باع وهران للكفار، انتقاما لمقتل ولده، و أنه ترك ابنا أخر اسمه عبد الرحمن بن حامد و ذريته التي لقيت التبجيل و التقديس من لدن ساكنة وهران.[30]

3- هنري فاي (Fey,Henri)

ليس من قبيل الصدفة أن يؤرخ هنري فاي لوهران ويتناول تاريخها مع التركيز على الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير و مناطق وهران من دون الحديث عن سيدي محمد الهواري ،و إلصاق تهمة الدعاء عليها و قابلية وهران و ساكنتها للاحتلال. و كأن ذلك قضاء و قدر و نهاية العالم حسب تعبير فاي. [31] يتميز كتاب فاي(وهران قبل، بعد، أثناء الاحتلال الإسباني) ، بأنه كتاب محوري يعتمد على مخطوط إسباني يعود تاريخه إلى سنة 1732، و هو مهندس ومحافظ مدني بوهران، و كان عضو مراسل للجمعية التاريخية الجزائرية.

4- إدمون ديستانغ.(Destaing, Léon Edmond)

عاش إدمون ديستانغ خلال الفترة الممتدة ما بين (1872–1940)، و شهد ما أنجزه الاستعمار الفرنسي في الجزائر. و في مضمار هذا التطور في المعرفة العلمية و الحضارية حسب المفهوم الاستعماري. مارس التبحر في التنقيب و التحقيق في تراث الجزائر الديني و الصوفي، و هذا بحكم طبيعة عمله، إذ

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

يعد من رواد تدريس اللغتين العربية و الأمازيغية بمعهد الدراسات الشرقية بباريس، و قد تتلمذ على يد الشيخ بلقاسم بن سديرة[32] الذي مكنه من معرفة اللغتين. درس ديستانغ بمدرسة الجزائر الرسمية (1894–1902)، ثم انتقل إلى التدريس بمدرسة تلمسان في عهد إدارة وليام مارسيه(Marçais William) [33] ، ثم ألفرد بيل(Alfred Bel)[34].

اهتم ديستانغ باللهجات المحلية و تراث الجزائر الصوفي فتجول في كامل إقليم الغرب الجزائري بين أحضان قبائله. وقد كتب بحثا مطولاً عن شخصية سيدي محمد الهواري . ينطلق الباحث الفرنسي من موقف الكتاب الفرنسيين حول الأدعية الساخطة و الساخرة على سكان و مدن الجزائر خلال الفترات التي سبقت الاستعمار الفرنسي للجزائر. إذ يضع الباحث ثبتاً شاملاً للدراسات و المصادر التي تناولت بالبحث و الدرس شخصية الصوفي سيدي الهواري. ويبدو أن نظرية ديستانغ في هذا البحث أنها تتأرجح بين الأطروحة الاستعمارية و هي حتمية الاستعمار و بين دور إرادة البشر في تقبل الاحتلال من خلال الاعتقاد في كرامات الأولياء و عملية تدخل في إطار الإنتاج الاجتماعي للأفكار المتوارثة عبر الأجيال عن طريق الروايات التي تصبح تاريخ حدثي موثق . استجمع ديستانغ نصوص الذاكرة التاريخية من طبقات المصادر المغاربية، و بين باحث درب على طرائق الإستشراق الفرنسي وروّاده، و لاسيما مدرسة الجزائر و باريس. قدم ديستانغ نفسه في جهده التوليفي و التوثيقي هذا، مؤرخا لظاهرة التصوف الجزائري من خلال شخصية سيدي محمد الهواري، فعبر من هذا الموقع في بحثه(قديس مسلم في القرن الخامس عشر: سيدي محمد الهواري.[35]

في معرض حديثه عن شخصية الصوفي محمد الهواري وعلاقته بوهران، استوقفنا عند أهم المصادر الخبرية التي تناولت حياته و ألقابه و تربيته و دراسته و رحلاته، لكن ما يمكن أن نلاحظه على امتداد ترجمته للشيخ أنه يعتمد كلية على ابن صعد في روضة النسرين. و كشف لنا بأنه دفين و هران و هو مزار مقدس من الساكنة كولي من أولياء الله الصالحين ، تقام له الزيارة كل يوم سبت لأنه توفي في مثل هذا اليوم، وهو مقصد النساء من الجزائر و المغرب، و عند دخولهن يرددن المقاصد التالي:[36] و في كل سنة من شهر سبتمبر تقام وعدة الولي التي يحضر فيها السكان القادمين من كل حدب و صوب ، فيستقدمون أمتعتهم و يحضرون وجبات الكسكس، و تستعرض الفانتازيا و الفروسية و ينتشر القوالة في

المنارة للاستشارات

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

الطحطاحة لسرد قصص عن كرامات الولي و معجزاته. ومن خلال كتاب(بساط الملوك) فإن الولي ترك أربعة أولاد : الجيلالي– أحمد– عبد الرحمن– محمد، الذي أمر بقتله و دفن بوهران.[37]

تكشف لنا الروايات التي سجلت في المصادر عن المكاشفات و الكرامات التي نسبت إلى سيدي محمد الهواري، إلا أن معظمها أخذ عن البستان لابن مريم[38]. ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- اطلاعه على نوايا الأفراد.
- يجيب عن الأسئلة ببداهة مطلقة و كأنه يعرف السائل مسبقا." و يجيبه عما في ضميره، حتى العلماء يعضل عليهم فهم النوازل"
- اطلاعه على الأمور الغيبية: " ما تأتي به السفن من الفواكه إلى ميناء وهران يعلمه قبل وصوله".[39]
- رؤية أحد النجارين ليلة فتح وهران" رأى أحد النجارين، الشيخ سيدي محمد الهواري و هو يقول له: اصنع لي تابوتا يكون على قبري بوهران، و أنا الهواري فقال له: ياسيدي ،إلى أن تفتح، فقال له: قد فتحت هذه الليلة."[40]
- إخبار سيدي الهواري بوفاة السلطان أبو فارس الحفصي الذي حاول غزو تلمسان في عهد حاكمها أحمد.[41]
- حادثة المرأة التي استغاثت به في شأن ولدها، الذي كان أسيرا في بلاد النصارى، فأطلقت نصرانية ابنها و افتكته من الأسر، و هذا بفضل مناقب الشيخ الولي سيدي محمد الهواري .[42]
- دعاء الشيخ على وهران و تسليم وهران للكفار النصارى، و هذا بعد 72 سنة أي في سنة 914هـ/1509م. " لم يدفن (الشيخ) بسيدي مسعود بتارقة أو بسيدي سعيد بشافع(المالح)، فإن ذلك من خرافات العامة... و لم يدخل النصارى الإسبانيين في حياته و إنما دخلوا بعد وفاته باثنين و سبعين عاما..."[43].

5- لويس بياس (Louis Piesse)

يعد كتاب بياس(1815–1890) من الكتب البيبليوغرافية التي اهتمت بتاريخ و جغرافية و حضارة الجزائر منذ القديم، [44]و هو عمل تكميلي لما قام به الحاكم العسكري لإقليم وهران الجنرال بروسار(Brossard) سنة (1837–1840) ،حيث جمع المعلومات و المعطيات من خلال الكتب و

المنارة للاستشارات

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

المقالات و الجرائد و الرحلات و تقارير الجيش و الإدارة الاستعمارية ما بين 1840–1882. نشر بياس الكتاب لأول مرة سنة 1860، ثم نقحه و طبع في سنة 1882.

أشار بياس إلى خضوع وهران مند سقوط الدولة الموحدية سنة 667هـ/1269م ، إلى عدة دول منها المرينيين و بنو عبد الواد و الحفصيين ثم إقامة ملك غرناطة بها مولاي محمد، ثم عودة الحفصيين إليها سنة 841هـ/1437م،[45] و كشف بياس بأن وهران و في مدة نصف قرن خضعت لحكم دول مختلفة ما بين(761هـ–1380–841هـ–1737م). [46] يعد كتاب(مسار الرحلة في الجزائر) ، من الدراسات الفرنسية الأولى التي أشارت إلى الدعاء الساخط على وهران الذي انتسب إلى وليها سيدي محمد الهواري، كان الدعاء سبب وقوعها بين براثن الاحتلال الإسباني ، إذ وقع المرسى الكبير عام 1505، ووهران عام 1509. ثم الاحتلال الثاني لوهران في 30 جوان 1732(1206هـ)،في عهد الملك الإسباني فليب الخامس(1683–1746).[47]

6- رونيه باصي (René Basset)

كبير المستشرقين الفرنسيين (1855–1924)ومدير مدرسة الآداب في الجزائر حوالي أربعين سنة وهذا منذ 1880. [48]كان في خدمة الإستشراق الفرنسي في الجزائر طوال هذه الفترة، حيث سخر لخدمة الإدارة الاستعمارية بكل حرص وجهد. وجند الفرنسيين والجزائريين معاً ووظفهم للتدريس والبحث و التأليف و النشر، أستاذ اللغتين العربية و الأمازيغية بامتياز.

كانت الحكومة العامة تسانده بالمال للقيام بأبحاثه وأبحاث تلاميذه وبعثاتهم ورحلاتهم. توجته الإدارة سنة 1905 برئاسة مؤتمر المستشرقين الدولي 14 في الجزائر. كان باصيه يتقن عدة لغات فعمل أستاذا بمدرسة الآداب بالجزائر سنة 1885 ثم عين مديراً لها سنة 1894، ليصبح عميد كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة 1911. ترك إنتاجاً غزيراً لاسيما في الدراسات العربية و البربرية وقد ترجمت أعماله تكريما له من طرف تلاميذه و أصدقائه[49].كان باصي يتجول في الجزائر بحثاً عن المكتبات و المخطوطات. وهي عدة المستشرقين، وقد ترك وصفا لفهارس المكتبات في بعض الزوايا و المناطق و منها بعض المناطق في الصحراء الجزائرية[50].

DM,LREOCMI

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

ركزت أعمال باصي حول المخطوطات العربية بشكل خاص، وهو ما لاحظناه في معظم دراساته. كما اهتم باصيه بالمخطوطات العربية لزاوية الهامل ببوسعادة، ومخطوطات مكتبات الزاوية التجانية في عين ماضي وتماسين وورقلة، ومخطوطات الباش أغا الجلفة، ومكتبات وادي ميزاب. ترك باصي وصفا لمكتبة الهامل التي اعتمد عليها جل الدارسين للمخطوطات، وساعده في ذلك تمتعه بالنفوذ لدى الإدارة الاستعمارية، وقد طلب باصيه من شيخ الزاوية عندئذ، محمد بلقاسم، قائمة المخطوطات التي بالزاوية، عن طريق وساطة الجنرال كولي ميقريه (Collet - Meygret) قائد وسط الجزائر. [51]قد أشار المستعرب الفرنسي باصي بأن بحثه حول الأقوال و الأدعية الساخرة ،الساخطة على المدن و القبائل الجزائرية في الفترة التي سبقت الاحتلال الفرنسي، ماهي سوى تقليد يندرج ضمن الأدب الشعبي المعروف عند الشعوب السامية، فهو عبارة عن أدعية توبيخية، ربطها المستعرب بتراث التوراة. لقد وردت هذه المقولات لأول مرة عند الضابط الفرنسي إسترهازي الذي جمع 59 مثل،[52]ثم أكملها باصي في 115 مثلا.[53]

ومما ورد في هذه الدراسة أنه قدم عرضا شاملا للتصوف في بلاد المغرب و ركز على الجزائر عبر سلسلة الشيوخ. إن الخلاصة التي تسجل لنا من خلال تتبع ماكتبه المستعرب باصي في هذه الدراسة أنه ربط الويل و الدعاء الساخط على وهران و ما جاورها من خلال حادثين للوليين صالحين هما أحمد بن يوسف دفين مليانة و سيدي محمد الهواري ، فالهواري دعا بسبب مقتل ابنه، و أحمد بن يوسف بسبب سجنه من طرف أبو حمو الثالث الذي هادن الإسبان، و تعرض لسخط سكان تلمسان، فهرب و احتمى بالإسبان.[54]من الأدعية الساخطة الذي ساقها باصي حول إقليم وهران:[55]

رقم1 : بني وراغ، رغت منهم الأنبياء و الأولياء.

رقم2 : بني عامر دايرتكم يهود، ودراهمكم دية موجود(بسبب تحالفهم مع الإسبان).

رقم7 : أهل غمرة، القوم مرة، صرهم في صرة، و اقطعهم في مرة، تريح من ذيك الجرة.

رقم25 : مستغانم، مسك الغنايم، إلى دخلها شهيد، و ظالمها ما يموت كيف يريد؟(الصوفي سيدي عبد الرحمان أبو حميد سنة 1559)

الدارة للاستشارات

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

رقم27: وهران الفاسقة، بعتك بيع الموافقة، النصارى ثم لقا إلى يوم البعث و اللقاء (سيدي محمد الهواري).[56].

من الواضح أن الدعاء الساخط لسيدي الهواري شمل سلاطين بني زيان بسبب مقتل ابنه ظلما و عدوانا، و قد نظم أحد مريديه (علي الأصفر التلمساني) شعرا حول وهران ، كما قام المترجم العسكري أنطوان أرنو(Antoine Arnaud) (1835–1910) بنشر القصيدة في المجلة الإفريقية تباعا: العدد25(1881)، العدد26 (1882)، العدد27(1883)،العدد 28(1884). [57]

رقم 28: وهران الفاسقة، يدخلوها الدراهم كالحشيش، و يطيرو كالريش.

7- إدمون دوتي.(Edmond Doutté)

انطلاقا من تصرح إدمون دوتيه (1867–1926) في إحدى ورقاته حول العمل العلمي لمدرسة الآداب بالجزائر: "إن الاستشراق هو بالطبع الحقل الرئيسي للدراسات في مدرستنا، ومن داخل الاستشراق تأتي اللغة العربية و المسائل الإسلامية" .[58]وإذا بحثا في الممهدات التاريخية للاستشراق ومحور مدرسة الآداب بالجزائر فإنها أثرت بشكل كبير على الدراسات الاستشراقية الفرنسية.

يعد دوتي من كبار الإثنوغرافيين الفرنسيين في المغرب العربي، فقد شغل منصب إداري بالبلديات المختلطة بإقليم قسنطينة منذ دخوله الجزائر عام 1887، غير أنه مارس مهنة التعليم في المدرسة الشرعية بتلمسان سنة 1898، وقام بمهمات علمية استكشافية إلى المغرب بأمر من السلطات الاستعمارية ما بين 1899–1906.وقد اهتم بالدعاية الإسلامية لصالح فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، و حارب أفكار الجامعة الإسلامية بفرنسا مع مراقبة نشاط المهاجرين المغاربة منذ 1924. على أن الواصل بين مهنته في البحث جعلته يوظف معرفته العلمية لصالح الإدارة الفرنسية بكل تفاني. نشر دوتي جل أعمال حول التصوف و المذاهب في الجزائر، وتناول تاريخ الحركات المذهبية و الطرق الصوفية جغرافيا و رصد تحركاتها و مواردها المالية انطلاقا من أبحاثه التنقيبية و الميدانية، كما ركز على الإيديولوجية الدينية.[59]

اهتم المستعرب الفرنسي دوتي بالدين الإسلامي و بالعقيدة و خصائص الإسلام بالجزائر من خلال المرابطين و الطرق الصوفية و أعيادهم و مواسمهم الدينية، كما ركز على تأطير الإدارة الاستعمارية للدين

المنارة للاستشارات

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

الإسلامي طول فترة الاحتلال.[60] تناول كتابه : (ملاحظات عن الإسلام المغاربي و المرابطون)[61]، الدعوة الساخطة لسيدي محمد الهواري على وهران و تسلط الاحتلال الإسباني عليها بعد وفاته.

يخلص الباحث الطاهر بونابي في كتابه حول التصوف في الجزائر أن المهتمين بدراسة تاريخ التصوف في المغرب الأوسط خلال القرنيين 6-7هـ/12-13م، لم يعيروا الكرامات الصوفية أدنى قيمة، و اعتبروها ظاهرة سلوكية مرتبطة بقوى غيبية، و مشاهدات و مكاشفات سحرية و خرافية، بينما هي في حقيقة الأمر واقع أفرزته الظروف التاريخية على مناحي الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية. و استدل بقول ابن القنفذ القسنطيني(ت 810هـ-1407م)، في قوله: " لا ينكر الكرامة إلا معاند محروم سيئ الاعتقاد و كثير الانتقاض".[62] أما الونشريسي(ت 914هـ-1508م)،فقال في شأنها:" بأنها فعل خارق للعادة تظهر على يد عبد صالح في دينه متمسك بسنة الله في جميع أحواله من غير ذي التنبؤ".[63]

كان المستشرقون الرائد الناصح و المستشار المعين للإستعمار في كل المجالات، و لم تكن بحوث هؤلاء في الإسلام و تاريخ الشعوب و حضاراتهم إلا التحريف و التزييف و التلاعب بعقيدة الإسلام و تشويه صورة الدين و الأمة، و إحداث الثغرات في الصفوف بعد التوحيد، وكان همهم الوحيد من وراء البحث و تقصي الحقائق هو الخداع و الاحتيال باسم الحضارة و الإنسانية.

و الحصيلة، مثلت مسألة الأدعية الساخرة و الساخطة الناقمة على مدن الجزائر و سكانها أساس الجدل في الكتابات الإستشراقية الفرنسية، التي حاولت التأكيد على صحة المقولات و نسبتها إلى شيوخ و علماء أجلاء في التصوف. فمن خلال ما سبق يبدو أن هؤلاء حاولوا إلصاق مثل هذه الاعتقادات في ذاكرة العلماء، الذي كانوا يحثون على ترك البدع ما ظهر منها و بطن، و الاستنارة بالعلم الصحيح و التحلي بالعمل الصالح. تعامل المستشرقون مع التراث الجزائري بعد الاطلاع على فهارسه ، في شكل أبحاث و ملاحظات و انطباعات، بالنقل و النسخ و الترجمة و المقارنة و المقابلة بين نصوصه، و باقتطاع الوثائق و المقتطفات التاريخية، و التعرض لها بالشرح و التعليق و التعييب. لعل أو ما يعاب على الفعل الإستشراقي في مجال التاريخ، استمرار وفائه لقاعدة تعامل الإستشراق من حيث تغيير المصطلحات و تكييفها مع الثقافة الغربية.

الإنارة للاستشارات

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

لقد أكبر القرآن الكريم العقل، و اعتبره أساسا للتفكير بخلق الإنسان، و السموات و الأرض، و دليلاً للإيمان، وفي الوقت نفسه ذكر الأنبياء معجزات خارقة للعادة، و ذكر القرآن كرامات الأنبياء، لذلك فرق علماء الكلام بين المعجزة و الكرامة، بأن يشترط فيها التحدي. و خير ختاما لورقتنا هذه ، قوله تعالى:[64] ﴿۞ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ [سورة الأنفال آية 32-33]﴾

الهوامش:

* ورقة قدمت في أعمال الملتقى الوطني حول الولي الصالح محمد بن عمر الهواري: حياته و آثاره، من تنظيم مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران 27،1-28 فبراير 2017.

(1) المدونة الفرنسية التي اهتمت بشخصية العالم محمد الهواري تمثلت فيما يلي:

- M.walsin ,Esterhazy, De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, libraire de Charles Gosselin,1840.
- Gorguos, Auguste, « Notice sur le bey d'Oran, Mohammed el-Kebir »,In, RA,n°1,1856,pp.454-463.
- pendant et après la domination Espagnole, avant, Fey,Henri Léon, Histoire d'Oran, Adolphe Perrier,1858. oran,
- Piesse, Louis, Itinéraire de l'Algérie, de Tunisie de Tanger, Description matérielle, Paris, Hachette, 1882, pp.182-329.
- Destaing, Léon Edmond, « Un saint musulman au XVe siècle : Sidi Mhammed El-Haouwari »,In, Journal asiatique,n°,Sept-Oct,1906,pp.295-342/395-438.
- Doutté, Edmond, Notes sur l'Islam Maghribin : Marabouts, Paris, Ernest leroux,1900,p.60.
- René, « Les dictons satiriques attribués à Sidi Ahmed ben Yousof »,In Basset, ,journal asiatique,t.XVI,Sep-Otobre,1890,pp.203

(2) إن سقوط غرناطة سنة 1492م، قد عجل بانطلاق الطاقات الإسبانية نحو مغامرات ما وراء البحار. و قد كانت إفريقيا على قربها الشديد الاختيار المنطقي الأول في هذه الاستراتيجية. و في الوقت نفسه فإن هجرة الموريسكيين قد خلقت التأزم و وفرت سببا لتعليل التدخل الإسباني. تتمثل أهداف هذا الاحتلال في قطع الطريق أمام الأندلسيين الفارين و عزلهم داخل إسبانيا. كما يتضمن برنامج الإسبان بعد هذا الاحتلال في تعمير هذه المدن بالإسبان و جعلها مدنا مسيحية. للمراجعة ينظر:

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

Fernand, Braudel, « les Espagnols en Afrique du Nord de 1492 à 1577 », in R.A, n°49, 1928, pp. 184-233 / 351-428.
Elie, de la primaudi, « Documents inédits sur l'histoire de l'histoire de l'occupation , PP. 136-150. Espagnols en Afrique (1516-1574) », in, R.A , n°20, 1876

و أيضا: محمد، دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بربروس (1512–1543)،ط2، الجزائر: شركة الأصالة للنشر و التوزيع، 1434هـ/2011م.

(3) ابن زرفة، مصطفى بن عبد الله الدحاوي، الرحلة القمرية،(تحقيق : مختار حساني)، منشورات مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر ،2003.

(4) المزاري ،الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، (تحقيق و دراسة: يحيى بوعزيز)، طبعة خاصة، الجزائر، عالم المعرفة، 2009، جزآن.

(5) الراشدي، أحمد بن محمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،(تحقيق و تقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي– اعتناء: عبد الرحمن دويب)، طبعة خاصة،2013، الجزائر، دار المعرفة العالمية.

(6) الزياني، محمد بن يوسف، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة و هران،(تحقيق و تقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي– اعتناء : عبد الرحمن دويب)، طبعة خاصة، الجزائر: دار المعرفة الدولية، 2013

(7) دليل الحيران ، ص ص 60–61.

(8) أبو العرب محمد أحمد ،التميمي، كتاب المحن(تحقيق: يحيى وهيب الجبوري)،ط3، بيروت: دار الغر بالإسلامي، 1427هـ/2006م.

(9) مسند أحمد 4/ص ص 408–410./ فيض القدير 185/2.

(10) ابن مريم، محمد بن أحمد المديوني، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان،(اعتناء و مراجعة: محمد ابن أبي شنب)، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1326هـ/1908م.

(11) رندال، جون هرمان، تكوين العقل الحديث،(ترجمة: جورج طعمة)، ط2، بيروت: دار الثقافة، 1965، ج1،ص ص 69–77.

(12) قدم الشيخ عبد الكريم الفكون المتوفى عام 1073هـ/1662م، جملة من النصائح العامة في كتابه منشور الهداية، و أكد على ضرورة التخلص من الشعوذة و الخرافة و الاعتقاد في المتصوفة الخارجين عن شريعة الإسلام، و كانت هذه الظاهرة متفشية في أوساط المجتمع الجزائري طوال الفترة العثمانية، و التي استغلها الفرنسيون فيما بعد. و قد ترجم الشيخ لـ 73 شخصية صوفية .حول هذا الموضوع يراجع: عبد الكريم، الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية،(تقديم و تحقيق و تعليق: أبو القاسم سعد الله)،ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1408هـ/1987م.

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

(13) Destaing, Léon Edmond, op.cit,p.425. و أيضا : أغصاي، علي، شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران للشيخ أبي زيد عبد الرحمن الجامعي الفاسي(1087–1144هـ/ 1677–1734م)، جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، تطوان 2012.

(14) ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 231–232.

(15) ابن صعد، محمد الأنصاري التلمساني، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين،(مراجعة و تحقيق: يحيى بوعزيز)، طبعة خاصة، 2009، ص ص35–47.

(16) ينظر: ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص ص 461–463. / أيضا: بنو شقران في دائرة المعرف الإسلامية ، ط2، بريل، ج4، ص 510. حول حياة الشيخ سيدي محمد الهواري ينظر: ابن صعد، ص ص35–47. ابن مريم، المصدر السابق ، ص ص 228–236 – الثغر الجماني، ص ص 461–472– دليل الحيران، ص ص60–61. – المازاري، ج1،ص ص 70–76.

(17) الثغر الجماني، ص 462.

(18) لاشك أن مكونات شخصية الهواري العقدية تبدو من خلال رسالة : عقيدة الإمام أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري نشرها: نزار حمادي ، بدون تاريخ، 28ص.

(19) عبد الحميد ،حاجيات،" سيدي محمد الهواري، شخصيته و تصوفه"، مجلة الثقافة، الجزائر: وزارة الثقافة و السياحة، العدد 88، جويلية– أوت 1985.،ص ص 77–88.

(20) Walsin ,Esterhazy, op.cit,pp.164-229.

(21) Walsin, Esterhazy, Notice historique sur le Maghzen d'Oran, Oran 1849.

(22) وُلد الشّيخ أحمد بن يوسف الراشدي المليانى سنة 840هـ – 1437م، وقيل سنة 836هـ، في دامود أحد قصور توات ،أخذ عن علماء تلمسان ووهران، ثمّ انتقل إلى بجاية حيث تتلمذ على الشّيخ أحمد زروق، وأخذ عنه عهد الطّريقة الشاذلية، وسلك على يديه. تذكر بعض المصادر أنّه ساح في الأرض لمدّة تزيد عن 15 سنة بفاس وتلمسان وتاهرت وفجيج، ثمّ انتقل إلى الزاب وبلاد الجريد والقيروان وطرابلس والإسكندرية والقاهرة وجدّة، وحجّ وأقام بمكّة، ومنها انتقل إلى المدينة المنورة حيث أقام هناك سنة كاملة.وبعد هذه الرحلة العلمية والرّوحية عاد إلى بلاده ينشر العلم والطريقة معًا، فأسّس زاويته بـ«رأس الماء" بوادي الشلف، درّس بها مختلف العلوم الشّرعية، وكوّن فيها المريدين، وسرعان ما عرف شهرة واسعة في المنطقة والمناطق المجاورة، وعرفت طريقته "اليوسفية" شهرة وسمعة كبيرتين، في مختلف أرجاء المغرب الإسلامي، وعمّ نفوذه الصّحراء الجزائرية والمغرب الأقصى، وكوّن عدد من أتباعه جماعة تسمّى بـ"الشرّاقة" أو "اليوسفية توفي الشّيخ بالقرب من مدينة مليانة في سنة 931هـ–1524م، ودفنه ابنه محمد بن مرزوق في مدينة مليانة. يعتبر أحمد

الإنارة للاستشارات
DM,LREOCMI

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

بن يوسف الملياني من الشخصيات الصوفية البارزة في القرن السادس عشر الميلادي في الجزائر، واشتهر بمواقفه السياسية الجريئة التي جعلته يعارض تحالف بقايا الزيانيين مع الإسبان، مفضلا الوقوف إلى جنب الأتراك العثمانيين .للمزيد يراجع: بو القاسم محمد ،الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف،ط1،دمشق: مؤسسة الرسالة،1982،ص 103.

(23) حول بعض البطون المتعاونة مع الإسبان أثناء تواجدهم بوهران و المرسى الكبير يراجع: حنيفي ،هلايلي،" عملاء و جواسيس الإسبان في بايليك الغرب على ضوء بهجة الناظر"، مجلة الحوار الفكري، العدد7، ذو القعدة 1426هـ/ديسمبر 2005م، جامعة منتوري قسنطينة، ص ص 143-146.

(24) الجزائر كان قدرها أن تصبح خاضعة للوجود العثماني التركي ثم الاستعمار الفرنسي حسب التحليل الأنثروبولوجي الاستعماري.

(25) الولي سيدي أحمد الكبير الأندلسي أيد خير الدين بربروسة، و أصبح محل تقدير من قبل سكان البليدة. كان لقائه بخير الدين سنة 1535، وطالب ببناء المدينة و إسكان اللاجئين الموريسكيين بها. وبذلك أصبحت البليدة عاصمة المتيجة. وظلت المدينة قاعدة عسكرية مهمة للعثمانيين أثناء وجودهم بالجزائر ، و دعا بهذا الدعاء سيدي أحمد الراشدي الملياني (1437-1524) ، وقد بنى له محمد الكبير باي وهران ضريح وزاوية، ينظر:

Le colonel.C,Trumelet,Blida récit selon légende, la tradition et l'histoire, Alger, Adolphe Jourdan,1887.pp.521-547.

(26) تقلد كلوزيل مهام القائد العام للقوات الفرنسية بالجزائر مرتين الأولى ما بين 1830-1831، و الثانية ما بين 1834-1837.

(27) يعتبر بريزيني(1814-1869) أحد الشخصيات التي حررت بيان الجيش الفرنسي عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر.

(28) نشر قورقوس 26 دراسة في المجلة الإفريقية (Revue Africaine)، في 6 مجالات أهمها التاريخ و المنوغرافيات.

(29) Berbrugger (A.), « M. A. Gorguos», In, RA n°11, 1867, pp.90-92.

(30) Gorguos, Auguste,op.cit,pp.460-463.

(31) Fey,Henri Léon,op.cit,pp.51-52.

(32) بلقاسم بن سديرة (1845-1901) تجنس سنة 1866 ،عمل أستاذ اللغة العربية و القانون بمدرسة الجزائر الرسمية ما بين (1869-1880 . ساهم في إنجاز معاجم اللغتين العربية و الفرنسية.

الدارة للاستشارات
DM,LREOCMI

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

(33) مستشرق فرنسي (1872–1956)، مختص في اللغتين العربية و الأمازيغية اهتم بالتاريخ و الفن الإسلامي درس بمدرسة تلمسان الرسمية.

(34) دخل ألفريد بيل(1873–1945) الجزائر سنة 1891 ، مستعرب من الطراز الأول اهتم بالتاريخ الديني و الأنثروبولوجيا

و المنوغرافيات. درس بمدرسة تلمسان الرسمية ثم أصبح مديرا لها منذ 1905. تقلد مهام مدير مدرسة تلمسانمدة 30 سنة. ينظر:

Émile, Janier, « Alfred Bel (1873-1945) »,In, Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, vol. 65, 1944, p. 66-76.

(35) Destaing, Léon Edmond, op.cit, p.295.

(36) ياسيدي الهواري قصدتك و قصدت بلادك ترزقني من الكرامات المسلمة باش نفوز على إلا يبغضنا و يبغض أولادنا ترزقهم الهم. ياسيدي الهواري أنت ولي ، أنا عبد الله أكرمني بهذه الحاجة بجاه النبي الشفيع.

ياسيدي الهواري أنا جيت لعندك باش تفتح علينا و تفرح أحبابنا ، ياسيدي الهواري أنت معجزة عليك أوراقك غالية جيتك باش تفرحني و تهنيني من عذاب الدنيا و ترحمني بها في الآخرة. ينظر:

Destaing, Léon Edmond,op.cit, p.336

(37) Destaing, Léon Edmond, op.cit, p.338.

(38) ابن مريم، البستان، ص ص 229–230.

(39) الثغر الجماني،ص 463.

(40) Destaing , op.cit., p.426.

(41) أبو فارس عبد العزيز المتوكل من مواليد قسنطينة (1361–1434)، حكم الدولة الحفصية فيما بين عامي (1394–1434)، تمكن من احتلال تلمسان عاصة الزيانيين سنة 1424، ونصب عليها حاكما مواليا للحفصيين. وكان هذا في عهد السلطان الزياني أبو العباس أحمد بن أبي حمو.

(42) Destaing , op.cit., p.412.

(43) Ibid,p.437.

(44)

Piesse, Louis, Itinéraire de l'Algérie, de Tunisie de Tanger, Description matérielle, Paris, Hachette, 1882

(45) قدم الكتاب معلومات غزيرة عن تاريخ وهران منذ القديم، وركز على الاحتلال الإسباني لها و علاقة سيدي محمد الهواري بذلك. أعطى صورة لنظام الحكم العثماني للمنطقة بـ 33 باي إلى غاية الاحتلال الفرنسي ،الذي دخل وهران

المنارة للاستشارات

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

يوم 4 جانفي 1831 و نصب الجنرال فودوس(Faudoas) لإدارة وهران في 17 أوت 1831. كما أشار إلى أهم الحكام العسكريين لإقليم و هران ما بين (1831–1861): Boyer- Esterhazy- Desmichels- Trézel- De Lamoricière- Cavaignac-Pélissier- Deligny. Piesse, Louis, op.cit., pp.182-329

(46) احتل بنو مرين تلمسان الزيانية مدة 12 سنة(1337–1348) ثم حررت في عهد عثمان الثاني (1348–1352)،ثم أعاد المرينيون احتلالها (1352–1358) ،فأعاد أبو حمو موسى الثاني ملك بني زيان(1359–1389)، ثم عاد المرينيون من جديد(1388–1392).أما الحفصيون فقد احتلوا تلمسان و أجلسوا سلاطين تابعين لهم ، في عهدي أبو فارس(1394–1434)، و عثمان(1435–1488).و ما تجدر الإشارة إليه ،أن مؤسس الدولة يغمراسن خاض 72 غزوة ضد جيرانه لتقوية أركان دولته: يراجع: عبد الفتاح مقلد ، الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، القاهرة،1994، ج3،ص 116.

لقد لخص الوزان وضع الدولة الزيانية بقوله:" ... وقد استقر الملك في بني زيان ثلاثمائة سنة، غير أن جيرانهم اضطهدوا من قبل ملوك فاس الذين دخلوا تلمسان عشر مرات، وكان مصير ملوك بني زيان حينئذ إما القتل ،أو الأسر،أو الفرار عند جيرانهم الأعراب،و تعرضوا أحيانا أخرى إلى الطرد من قبل ملوك تونس الحفصيين ، و استطاعوا أن يستمتعوا بها مدة 130 سنة.. " ينظر: الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا (ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر)، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م.ج1،ص 380.

(47) خصص بياس لإقليم وهران في كتابه مسار الرحلة أكثر من مائتين صفحة تناول تاريخ و حضارة مدنه ومناطقه: Ibid,pp.182-329.

(48) Basset, René, « Œuvre scientifique de la France en Algérie et nord Afrique », In, Journal asiatique, T 20,1920.pp.89-96.

(49) Bel ,Alfred, « René Basset », In,R.A,n°65,1924,pp.12-19

(50) قام باصيه بفهرسة مخطوطات زاوية الهامل ببوسعادة بعد ما كلفه الجنرال كولي (Collet - Meygret) سنة 1896،و أنجز العمل في فهرسة أحصى فيها مخطوطاتها بـ53 في 99 مجلد ،تهتم بميادين المعرفة التالية: (الفقه– تفسير القرآن– التاريخ– التصوف– وعلوم اللغة.)

(51) أنجب باصيه ولدين هما من رواد الإستشراق الفرنسي في الجزائر: هنري(1892–1926) و أندري(1895–1956)، أما ابنته فتزوجت من رائد الدراسات التركية العثمانية المستعرب الفرنسي جون ديني(Jean Deny)(1879–1963) ، ومدير معهد الرسات الشرقية الحية بباريس ما بين 1937–1948.

(52) Walsin ,Esterhazy, op.cit,pp.164-229.

الإنارة للاستشارات

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

(53) René, Basset, « Les dictons satiriques attribués à Sidi Ahmed Ben yousef »,In ,Journal asiatique, septembre-octobre,T.XVI,pp.203-297.

(54) أصدر أبو حمو الثالث(923-934هـ/1516-1528م) مرسوم يقضي بإعدام الولي أحمد بن يوسف فأدخل بموجبها السجن ، و لكن حسب الأسطورة اختفى فجأة. لقب بالسجين المختفي،فذهب إليه السلطان، و قال له: " اذهب لقد سرحتك".و كانت دعوته أن هرب و استنجد سكان تلمسان بعروج بربروسة، وبعد استشهاد عروج لجأ إلى مزغران وربط علاقات حسنة مع أخيه خير الدين مؤسس أيالة الجزائر.

للمزيد حول الموضوع راجع: محمد، دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بربروسة01512-1543،ط2،الجزائر: شركة الأصالة،1434هـ/2013م،ص 95..Basset, op.cit., pp220.-223.

(55) Basset, op.cit., pp228.-297.

(56) في كتاب دوما ، جاء التعبير على النحو التالي :"وهران الفاسدة، بعنا لقوم الكافرة، حتى يوم القيامة "، و أيضا: وهران للبيع و الشرا.. لا تقارنها ببلاد أخر.. ليدخلها فقير يصبع غني... وهران للبيع و الشرا.. لا تقيسها ببلاد... من دخولها فقير.. يولي غني. ينظر:

Le Général Eugène, Dumas, la vie arabe et la société musulmane, Paris, la librairie nouvelle, 1869, pp.227-228.

(57) ARNAUD, « Voyages extraordinaires et nouvelles agréables par Mohammed Abd el-Kader en-Nasri. Histoire de l'Afrique Abou Bas ben Ahmed ben septentrionale », *In*, *RA, n°24*, 1880, pp.133-139.

(58) Doutté, Edmond, « L'œuvre scientifique de l'école des Lettres d'Alger», In, R.A, n°49, 1905, p.440.

(59) Doutté,E, Note sur l'Islam Maghribin –marabouts ,Paris ,Ernest leroux,1900

كما نشر أعماله في مجلة تاريخ الأديان ما بين 1899-1900، و كان يعاضده في أبحاثة جزائريان هما: علال عبدي(ت 1908)، و بومدين بن زيان. ينظر:

Messaoudi, Alain, les arabisants et la France coloniale, collections : Espace, Temps,Lyon,2015,pp.154-155.

(60) قدم دوتي إحصائيات موثقة عن الوظيف الديني في الجزائر لسنة 1899، و الذي شمل 174 مؤسسة دينية، توظف 573 في العمالات الجزائرية الثلاث. للمزيد يراجع:

Doutté, dE, L'Islam Algérien en l'an 1900,Alger-Mustapha,1900,pp.120-128.

(61) Doutté ,E, Notes sur l'Islam Maghribin -marabouts ,Paris, Ernest leroux,1900,p.60.

الإنارة للاستشارات
DM,LREOCMI

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

(62) ابن القنفذ، أبو العباس القسنطيني، أنس الفقير و عز الحقير(نشره و صححه : محمد الفاسي و أدولف فور)، الرباط: منشورات كلية الآداب ،المركز الجامعي للبحث، 1965، ص 4.

(63) الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المغرب و الجامع المعرب عن فتاوى علماء افريقية و الأندلس و المغرب(أخرجه جماعة من الفقهاء تحت إشراف محمد حجي)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 19،81،ج2،ص 395.

(64) الأثر : 15981: حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، في قوله " :وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء" ، قال: نزلت في النضر بن الحارث.

الإنارة للاستشارات